مثّل القرن الهجري الرابع عشر أرضية لنمو الأفكار، والاتجاهات الجديدة في مناهج علماء المجتمعات الإسلامية ورؤى مُصلحيها. فالإحساس الشديد الذي اكتنف الأفذاذ وعلماء الإسلام إزاء ضرورة التغيير الثقافي والاجتماعي، ونَفْضِ غبار الركود والتخلّف عن وجه الأمّة الإسلامية في الجانبين العلمي والعملي؛ كانا باعثين، لكي تتجلّى لوازم ذلك الإحساس في القرن الهجري الرابع عشر أكثر من أي وقت آخر.

آفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير

إنّ ما برز في نطاق الإحساس بضرورة التغيير يستحق الدراسة من زاويتين:

أ: التغيير في الفهم الديني على مستوى تفسير المفاهيم الأخلاقية والاعتقادية.

ب: التغيير الذي طرأ على البنية التنظيمية، والهيكلية للمعارف، والمعطيات الدينية، وكيفية تقديمها إلى المجتمع.

لقد كانت الحركة الأولى حركة مضمونية نوعية وتقع في النسق التحتي للمعرفة الدينية. أما الثانية، فهي حركة صورية وهيكلية انطلقت لتعجيل التغيير المضموني البنيوي وإسباغ التناسق والانسيابية على مساره.

النظرة الجديدة للمعارف الدينية تملي بالضرورة اتخاذ زاوية جديدة، وأسلوب مستحدث، بحكم أنّ الأسلوب الثابت والزاوية المغلقة لهذه المعرفة يستتبعان عادة معطيات مساوية لهما، ومتكافئة معهما. فأولئك الذين كان يساورهم القلق من شيوع حالات الانغلاق الذهني، وضآلة التفكير، والنظرة الجزئية القاصرة، والسطحية، وقصور الفهم الديني في المجتمع؛ كانوا يبحثون في الوقت عينه عن سُبلٍ وأساليب عملية لفتح آفاق متجدّدة وواسعة، تشبع التطلعات القلقة لجيلهم، وتلبي احتياجاته.

السيّد إبراهيم سجادي

إن توقي النظرة الجزئية الضيّقة، وتحاشي السطحية في الفكر يمليان الحاجة إلى رؤية شاملة متعدّدة الأبعاد.

وهذه غاية كان يمكن لها أن تتحقّق من خلال اتساع التفسير الموضوعي وامتداده. وهكذا يكون التفسير الموضوعي، قد أينع في ظلال الفكر التجديدي وازدهر في ظل التطلّعات الإصلاحية والتكاملية لعلماء الدين في القرن الهجري الرابع عشر.

يعتقد بعض الباحثين أنّ البوادر الأولى لهذا النهج الجديد كانت قد انبثقت من «**الأزهر**»[١]. بيدَ أن الذي لا ريب فيه أن موسم الازدهار المعرفي، كان قد حل في جميع المحافل والمجتمعات الإسلامية التقدّمية ؛ وصارت الأرضية مهيّأة لنمو رؤية شمولية إلى الدين، وجملة المعارف القرآنية الإلهية.

على هذا الضوء، تمّ الانتباه لأهمية التفسير الموضوعي في فضاء ثقافي خاص ؛ بل في فضاءات مختلفة حيث نما وازدهر وصار مألوفاً.

مرتكزان في بنية التفسير الموضوعي

يلحظ في أوساط المفسرين الذين بذلوا عناية بالتفسير الموضوعي، وجود مرتكزين أساسين: الفريق الأوّل كان منذ البداية بصدد البحث عن مواضيع ومحاور ليعرضها القرآن، ثم يأتي دور المفسّر الذي عليه أن يكتشف مجموعة الآيات ذات الصلة بذلك الموضوع، أو المحور سواء أكانت مبثوثة في سورة واحدة أم موزّعة على القرآن برمّته، ثم يُخضِعها للدراسة.

على أساس هذا الرأي يكتسب تعريف التفسير الموضوعي الصيغة التالية[٢]: «**هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرّقة والنظر فيها، على هيئة خاصة، بشروط خاصة، لبيان معناها واستخراج عناصرهاوربطها برباط جامع**»[٣].

أما الفريق الثاني من أصحاب الاتجاه الموضوعي في التفسير، فهم يرون، أنَّ باستطاعة المفسِّر أن ينتخب موضوعاً محورياً من المسائل الموجودة خارج النص القرآني تمليه المتطلّبات الفكرية، والاجتماعية، ودراسة معارف القرآن ومقاصده إزاء ذلك الموضوع في إطار آيات الوحي؛ وذلك لأنّ البحث الموضوعي عبارة عن عرض مسألة من المسائل العقيدية، أو الاجتماعية، أو تلك التي لها صلة بالوجود ممّا تزخر به الحياة، وتناول تلك المسألة بالدراسة والتقويم انطلاقاً من الرؤية القرآنية، لكي يتّضح موقف القرآن وتوجّهاته بخصوص تلك المسألة.

يقدّم الشهيد الصدر صيغتين لتعريف التفسير الموضوعي، إحداهما تتسق مع الفكرة المثارة هنا حيث يقول: «**الدراسة الموضوعية هي التي تطرح موضوعاً من موضوعات الحياة العقائدية، أو الاجتماعية، أو الكونية، وتتجه إلى درسه وتقييمه من زاوية**

قرآنية»[٤].

هاتان رؤيتان يوجد بينهما شيء من عدم التناسق في بعض الموارد؛ لأنّه:

١ ـ في الرؤية الأولى تكون الموضوعات القرآنية محدّدة ومعيّنة من قبل، والمفسر يأخذ الموضوع من القرآن، كما أنه يقوم ببحثه وتقويمه على ضوء القرآن أيضاً.

أمّا في الرؤية الثانية، فإنّ القرآن ناظر إلى المسائل الفكرية للحياة، وله في كلِّ مسألة موقف ورأي. وعلى هذا الأساس، كان التفسير الموضوعي قادراً على تطوير ومواصلة عطائه بتطوّر التجارب البشرية، بحيث لا تستنفد قدرته على العطاء[٥].

٢ ـ يذهب الفريق الأوّل إلى دخول دراسات من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، والناسخ والمنسوخ، أو البحث في مجازات القرآن في التفسير الموضوعي[٦]. أما الفريق الثاني، فهو وإن كان يرى أن هذه البحوث تدخل في عِداد الدراسات التفسيرية أو القرآنية، إلاّ أنّها لا تعد من التفسير الموضوعي[٧].

خلفية التفسير الموضوعي

بالرغم من أن التفسير الموضوعي ازدهر في القرن الرابع عشر الهجري وتعالى صيته في هذه البرهة من الزمان، إلاّ أنّه يمكن العثور على بواكيره الأولى، وجذوره التأسيسية في تفسير المعصومين عليهم السلام. ولا ريب في أنَّ تقصّي جذور هذا النهج التفسيري يمكن أن يزيد من قيمته ويهبه شرعية وحجّية.

لقد استفاد فريق من الباحثين القرآنيين من مفهوم كلمة «**مثاني**» في الآية الثالثة والعشرين من سورة الزمر: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني**﴾ ليقرّروا أنَّ المثاني صفة للقرآن. بمعنى أنّ بعض آيات القرآن ناظر إلى بعضها الآخر، [٨]. إذاً هناك سند قُرآني للتفسير الموضوعي يتمثّل أساسه بالجمع بين الآيات، واستلهام النتيجة من ذلك. يقول النبي (صلّى الله عليه وآله): «**القرآن يفسر بعضه بعضاً**»[٩]. ويقول **الإمام علي** (عليه السلام) :«**ينطق بعضه ببعض**»[١٠].

لقد كان **النبي** (صلّى الله عليه وآله) يستفيد من المنهج الموضوعي تطبيقياً في تفسير الآيات، حيث يستخدم بعض الآيات في بيان معنى بعضها الآخر[١١].

كما أفاد الامام علي (عليه السلام) من منهجية التفسير الموضوعي أيضاً، لإثبات الواقعة الخارجية التي تقول بإمكان أن يولد الطفل لستّة أشهر، من خلال ترتيب الآيات بعضها إلى جوار بعض[١٢].

يقول **الشهيد الصدر** في هذا الاتجاه: «**وقد يقال ما الضرورة إلى تحصيل هذه النظريات الأساسية؟.. ؛ فإننا نجد بأن النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يعط هذه النظريات على**

شكل نظريات محدودة وبصيغ عامة. . . ، النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يعطي هذه النظريات، ولكن من خلال التطبيق، من خلال المناخ القرآني العام الذي كان يبيّنه في الحياة الإسلامية، وكان كل فرد مسلم في إطار هذا المناخ يفهم هذه النظرية، ولو فهماً إجمالياً ارتكازياً »(١٣).

ثَمة من يعتقد في هذا المضمار، أنّ **عمرو بن بحر الجاحظ** (ت: ٢٥٥هـ) هو أوّل من استخدم هذا النهج في تفسير القرآن، ومارسه عملياً من خلال عناوين مثل «**العذاب في القرآن**»، «**الملائكة في القرآن**» وغير ذلك(١٤).

كما أن في الدارسين من يذهب، إلى أنَّ أوّل من مارس التفسير الموضوعي هو **قتادة بن دعامة** (المتوفى سنة ١١٨هـ). وبشكل عام يمكن تصنيف ما تركه الدارسون القرآنيون من آثار قبل القرن الهجري الرابع عشر تحت عنوان التفسير الموضوعي، إلى أربعة صنوف، هي:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن الذي يعد أنفع ضروب التفسير الموضوعي.

٢ ـ تفسير آيات الأحكام.

٣ ـ الدراسات التي أُنجزت تحت عنوان «الأشباه والنظائر في القرآن»، بالنحو الذي يتمّ فيه تحديد معنى مصطلحٍ قرآني محدّد، من خلال جميع الآيات. وأوّل مفسر نهج هذه السيرة هو **مقاتل بن سليمان**(١٥)(المتوفى سنة ١٥٠هـ).

٤ ـ جمع الآيات ذات الصلة بموضوع واحد ودراستها، كما هو الحال في آيات الناسخ والمنسوخ وما أشبه(١٦).

تتمثل المهمة العملية التي ينهض بها التفسير الموضوعي، وتبرز واحدة من البحوث النظرية الأساسية التي يرتكز إليها، في إثبات التناسب في القرآن ؛ هذا التناسب القائم بدوره على نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن، وأيضاً الوحدة الموضوعية في السور. وأكّد علماء القرن الرابع عشر العلاقة الوثيقة بين التفسير الموضوعي وعلم التناسب(١٧). أمّا أول من تحدّث عن علم التناسب فهو **الشيخ أبو بكر النيسابوري** (ت: ٣٢٤هـ) **والفخر الرازي**.

أرضية التوجّه صوب التفسير الموضوعي

وعلى أي حال، فإن الذي حصل في القرن الرابع عشر هو: أن هذا النهج التفسيري الذي لم يلق العناية اللازمة خلال مئات السنين، استطاع أن يجذب إليه عدداً من المفسّرين.

أمّا البواعث التي جعلت البحوث التفسيرية مستعدة للتوجّه صوب هذا النهج، فهي تتمثّل بعوامل متعدّدة، سنشير إلى بعضها ممّا يحظى بأهمية أكثر:

١ ـ الأسلوب الخاص للقرآن في بيان المعارف تدريجياً

يصرّ فريق من المفسّرين والخبراء المتخصصين في الدراسات القرآنية، على أنَّ القرآن عرض لكل موضوع من موضوعاته بصيغٍ متفرّقة مبثوثة في سور مختلفة، حيث تكفّل ببيان بُعد من أبعاد ذلك الموضوع في كل موقع من تلك المواقع، ومن ثَم تتمثّل الطريقة الوحيدة التي تفضي إلى المعرفة المتكاملة بموقف القرآن من أي موضوع ؛ باستقصاء جميع الآيات ذات الصلة بذلك الموضوع وتبويبها[١٨]. هذه النظرة الشاملة التي تنهض بجمع الآيات في مجال موضوع قرآني واحد، تعدّ بنفسها ضرباً من التفسير الموضوعي.

٢ ـ نموّ العلوم الإنسانية

إنَّ أحد العوامل التي حالت دون ازدهار هذا النهج التفسيري في الماضي كما ينبغي، يتمثّل في غياب الاختصاصات الضرورية لتفتح المسائل القرآنية على الصعيدين العلمي والاجتماعي، وبتوافر هذه الكفاءات ازدهر التفسير الموضوعي، وراحت تظهر حقائق من القرآن، لم تطرأ على أذهان المفكرين السابقين لعدم توفّرهم على السبل والأدوات الجديدة[١٩].

٣ ـ السعي لإبراز الرؤى العلمية ـ الاجتماعية للإسلام

يعلّل بعض الباحثين التوجّه صوب التفسير الموضوعي على أساس اهتمام المصلحين وعنايتهم بمواجهة الثقافة الاستعمارية المهاجمة، ويقول: إنَّ هذا الهجوم هو الذي دفع المفكرين الإسلاميين لدراسة الرؤى العلمية والاجتماعية للإسلام من خلال النصوص الدينية، وحثّهم على إثبات تطابق نظرات القرآن، وعدم تعارضها مع الحضارة والعلم، في عملية أفضت إلى الكشف عن الرؤى الإسلامية ـ القرآنية لحلّ مشكلات الحياة في العصر الحاضر[٢٠].

٤ ـ ردّ اتهام المستشرقين

يذهب فريق من المستشرقين، إلى أنَّ القرآن ينطوي على مجموعة من المطالب المتفرّقة التي لا يجمعها انسجام في الموضوع، ولا وحدة في النظم والعلاقة فيما بينها[٢١]. ولمواجهة هذا الاتهام بادر العلماء المسلمون لتفسير القرآن بصيغة موضوعية[٢٢].

٥ ـ تقدّم تقنية البحث وإمكانياته

تتطلب عملية تهيئة الاحتياجات العلمية وولوج بحوث التفسير الموضوعي إلى معاجم دقيقة وشاملة، بحيث يكون بمقدور الباحث، أن يدرس علاقة أي آية وارتباطها مع الآيات الأخرى بسهولة. وهذه الأدوات والوسائل صارت متوافرة في القرون الأخيرة، أكثر ممّا كانت عليه قبل ذلك[٢٣].

ثلاثة أشكال لترابط المفاهيم القرآنية

تعد فكرة انطواء معارف القرآن على نظام خاص، واحدة من القواعد القديمة التي ساهمت في صياغة البحث الموضوعي في التفسير. فعندما ندرس مجموعة آراء الباحثين القرآنيين في مضمار طبيعة العلاقة بين معارف القرآن، تواجهنا نظريات ثلاث، تستبطن كل واحدة في داخلها عدداً كبيراً من الآراء.

النظريات الأصلية هذه هي:

١ ـ نظرية الارتباط العضوي لمفاهيم القرآن.

٢ ـ نظرية الوحدة الموضوعية لكل سورة.

٣ ـ ترابط البيانات القرآنية المتفرّقة ووحدتها حيال الموضوع الواحد.

الرؤية الأولى: الترابط الموضوعي لمفاهيم القرآن

لقد أفضت القناعة التي تذهب إلى أنّ مجموع معارف القرآن ينطوي على بنية منسجمة وارتباط منطقي ينتظمه، إلى ظهور نظرات وبحوث عميقة؛ انتهت بدورها إلى رؤى ثلاث:

أ ـ البيان الاجمالي للمحاور الأصلية

بذل بعض الباحثين جهوداً لبيان العناوين الأصلية لموضوعات معارف القرآن. فمن خلال ما ذهبوا إليه من أن جميع مباحث القرآن تنطوي في نطاق تلك المجموعة من العناوين، وكذلك بلحاظ ما ينبسط بينها من علاقة منطقية؛ من خلال هذا وذاك، انتهوا إلى أنّ القرآن عبارة عن وحدة كيانية منتظمة.

يقول **العلاّمة الطباطبائي** بهذا الشأن: «**فإن القرآن في سعته العجيبة في معارفه الأصلية وما يتفرّع عليها من الفروع من أخلاق وأحكام في العبادات، والمعاملات، والسياسات، والاجتماعيات، ووعد ووعيد، وقصص وعبر، يرجع جمل بياناتها إلى التوحيد، والنبوّة، والمعاد، وفروعاتها، وإلى هداية العباد إلى ما يصلح به أولاهم وعقباهم**»(٢٤).

لبيان علاقة التوحيد بالأخلاق والأعمال، انطلاقاً من الرؤية القرآنية، يكتب: «**فتوحيده تعالى بما يليق بساحة عزّه وكبريائه ـ مثلاً ـ في مقام الاعتقاد، هو إثبات أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وفي مقام الأخلاق هو التخلّق بالأخلاق الكريمة من الرضا، والتسليم والشجاعة، والعفّة، والسخاء، ونحو ذلك، والاجتناب عن الصفات الرذيلة، وفي مقام الأعمال والأفعال الإتيان بالأعمال الصالحة، والورع عن محارم الله**»(٢٥).

أما **محمد عبده**، فيذهب إلى أن المحاور الأساسية وأصول معارف القرآن يمكن تلخيصها بالأمور التالية:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ وعد من أخذ بالتوحيد وتبشيره بحسن المثوبة، ووعيد من لم يأخذ به وإنذاره سوء العقوبة.

٣ ـ العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبته في النفوس.

٤ ـ بيان سبيل السعادة وكيفية السير فيه، الموصل إلى نيل نعم الدنيا والآخرة.

٥ ـ توفر القرآن على بيان قصص المؤيّدين، والمعارضين لدين الله بقصد العظة، ومعرفة السنن الإلهية المطَّردة في البشر[٢٦].

وثَمة من الباحثين من يعتقد: «**أن القرآن قرّر لهذا الكون بداية ونهاية، وحدّد لذلك مسيراً. وهذا ما يعبّر عنه بالتوحيد، المعاد، والرسالة، بحيث ترجع جميع معارف الدين إلى هذه الحقول الثلاثة**»[٢٧].

وهناك فريق آخر من الباحثين في القرآنيات يذهب إلى أن مباحث القرآن يمكن أن تصنّف إلى أربعة أصناف، هي:

١ ـ التوحيد الذي يعدّ الغرض الأساس للقرآن.

٢ ـ القصص وبيان مصائر الأمم والنبوّات، بهدف الكشف عن العظمة والقدرة الإلهيين.

٣ ـ تشريع القوانين الفردية والاجتماعية، لما يحقّق استقرار الحياة الدنيوية للبشرية ويؤمِّن لها مصالحها.

٤ ـ النظام الأخلاقي للقرآن الذي يعدّ من معطيات الإيمان؛ وهو إلى ذلك ضمان لتطبيق التشريع[٢٨].

أما **رشيد رضا**، فقد توفّر على شرحٍ أوفى لمقاصد الكتاب وذكر عشرة أهداف لمعارف القرآن، هي:

١ ـ بيان قواعد الدين متمثّلة بالإيمان بالله والمعاد والعمل الصالح.

٢ ـ النبي ووظائف النبوّة.

٣ ـ خصائص الإسلام.

٤ ـ الإصلاح الاجتماعي والسياسي على أساس مرتكزات ومبان خاصة.

٥ ـ التكاليف والوظائف الفردية.

٦ ـ النظام السياسي الإسلامي.

٧ ـ النظام الاقتصادي والتعاليم ذات الصلة به.

٨ ـ الحرب والجهاد.

٩ ـ الحقوق الإنسانية للمرأة دينياً واجتماعياً.

١٠ ـ مكافحة نظام الرق[٢٩].

من المفكرين الإماميين (الاثني عشرية) المعاصرين، يذهب **الشيخ مصباح اليزدي** إلى

أن مجموع المعطيات المعرفية للقرآن، هي: معرفة الله [التوحيد] ، ومعرفة الكون، ومعرفة الإنسان، ومعرفة الطريق، ومعرفة الدليل [الدال على الطريق] ، وبناء الإنسان، والبرامج العبادية، والأحكام الفردية والأحكام الاجتماعية التي تتواصل فيما بينها برباط منطقي ؛ على أنّ التوحيد (معرفة الله) هو المحور الذي ينتظم هذه المباحث بأجمعها(٣٠).

من بين الباحثين غير المسلمين، ثمة للمستشرق الفرنسي **جول لابوم** وجهة نظر تستحق الدراسة، فهو يوزّع جميع آيات القرآن إلى ثمانية عشر فصلاً، ويجعل لكلّ فصل عدداً من الفروع الملحقة به، بحيث يصل مجموع الفروع إلى ثلاثمائة وخمسين فرعاً.

ففصول القرآن من وجهة نظره، هي عبارة عن: التاريخ، ومحمّد [صلّى الله عليه وآله] ، والتبليغ، وبنو إسرائيل، والتوراة، والنصارى، وما وراء الطبيعة، والتوحيد، والقرآن، والدين، والعقائد، والعبادات، والشريعة، والنظام الاجتماعي، والعلوم والفنون، والتجارة، وتهذيب الأخلاق، والتقوى، والفلاح(٣١).

ما يتوخّاه الباحثون الذين تمّت دراسة رؤاهم، هو تحقيق أمرين:

الأوّل: معرفة المباحث الأساسية (البحوث المفاتيح)، **والثاني:** الكشف عن العلاقة الكائنة بين تلك المباحث.

وهذان الهدفان يتحرّكان كلاهما في اتجاه التدليل على الوحدة الموضوعية لمعارف القرآن، ووجود نظام معيّن ينتظمها.

ب ـ اندراج الوحدة المفهومية لجميع السور في نطاق سورة البقرة

لم تكن ثَم أرضية لدراسة الفكرة التي تتحدّث عن ترابط مطالب القرآن بالصيغة التي تطرح بها الآن، في كلام المفسّرين السابقين، وبشأن مفسري القرن الهجري الرابع عشر كانت لصاحب «**المنار**» إشارة مختصرة في هذا المضمار، لكن في حدود بعض السور(٣٢).

أمّا المفسّر الذي تُعزى إليه الفكرة وينسب إليه ابتكارها للمرّة الأولى، فهو **سعيد حَوّى**، الذي ألف في هذا المجال أثره المسمّى «**الأساس في التفسير**» الذي يقع في أحد عشر مجلّداً و(٦٧٩٩) صفحة، حيث انتهى منه عام ١٣٩٨هـ، وطبع سنة ١٤٠٥هـ. لقد عد **حوّى** سورة الحمد بمنزلة مقدّمة القرآن(٣٣)، في حين تعامل مع سورة البقرة، على أنها كيان واحد يتألّف من مقدّمة، وثلاثة أقسام، وخاتمة(٣٤)، بحيث تضم هذه السورة جميع موضوعات القرآن. أمّا بقية سور القرآن، فإنّ كلّ واحدة منها تبحث موضوعاً هو جزء من مضامين سورة البقرة. وبهذا الشأن يمكن لمحور معيّن أن يعاد تكراره مرّات في القرآن لهدف خاص. على هذا الأساس يستخلص **حوّى** أنَّ سورة البقرة تم توضيحها في القرآن (٢٤) مرّة(٣٥).

على سبيل المثال تتحدّث الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة عن التقوى، وسورة آل عمران تشرح هذا الموضوع بعينه(٣٦).

أمّا سورة المائدة فتتناول بالشرح الفسق وآثاره، وهذا ما يعبّر عن مضمون الآيتين (٢٦، ٢٧) من سورة البقرة[٣٧].

وموضوع سورة الأنعام هو محاججة الكفّار حول عبودية الخلق بين يدي الله ؛ وهذا ما أشارت إليه الآيتان (٢٨، ٢٩) من سورة البقرة[٣٨].

أمّا موضوع سورة الأعراف، فقد تمثّل بالهداية، وهذا ما يؤلّف مضمون الآية (٣) من سورة البقرة[٣٩].

وبشأن سورتي الأنفال والتوبة، فهما تتحدّثان عن الجهاد والحرب ؛ وهذا ما يؤلّف محتوى الآيات (٢١٦، ٢١٧، ٢١٨) من سورة البقرة[٤٠].

أمّا سورة يونس، فيتمثّل موضوعها الأساس بعدم التشكيك في أن القرآن من عند الله، وهذا هو موضوع أوّل آية في سورة البقرة؛ حيث أشارت إلى ذلك[٤١].

وبالنسبة إلى سورة يوسف، فإن موضوعها هو نزول القرآن من عند الله، وهذا ما تحدّثت عنه الآيات (٢١ـ٢٥) في مقدّمة سورة البقرة[٤٢].

أمّا سورة الكهف، فهي شرح بصيغة أخرى للمسائل ذات الصلة بالمتّقين، والمنافقين والكفّار الذي كانت قد تناولته سورة البقرة في مقدّمتها[٤٣].

وبشأن السور القصار، فإنّ كلّ واحدة منها ناظرة إلى موضوع معيّن من الموضوعات التي تناولتها سورة البقرة. فموضوع سورتي «**الفلق**» و«**الناس**» مثلاً، هو الاستعاذة وهذا الموضوع له صلة بالآيات (٣٠ـ٣٨) من سورة البقرة التي تعرض قصّة آدم وإغواء الشيطان له[٤٤].

والملاحظ في هذه الرؤية **لسعيد حوّى** هو عدم إخضاعها للدراسة والتقويم للوصول إلى نظرة جادّة حيالها، بالرغم من أنّها مطروحة على طاولة البحث في التفسير القرآني منذ سنوات.

ج ـ ترابط المعارف القرآنية على أساس معرفة المعنى

تعدّ هذه النظرية هي الصيغة الثالثة التي طرحت حيال نظام المعارف القرآنية، وهذه الصيغة ترتكز إلى علم معرفة المعنى[٤٥]، وقد عرض لها العالم الياباني «**توشيهيكيو ايزوتسو**».

مع أن هذا الباحث عدّ الهدف الأساس الذي ينشده من دراسته هو عرض رؤية كونية ومعرفية قرآنية من خلال دراسة الكلمات المفاتيح في القرآن[٤٦]، إلاّ أنّه تطرّق في سياق عمله هذا لطبيعة الترابط بين مفاهيم القرآن ومصطلحاته الأساسية (المصطلحات المفاتيح)، حيث كتب: «**قد يُتصوّر أنّ كلّ ما ينبغي فعله هو أن تقوم بفرز جميع الكلمات**

المهمّة التي لها ارتباط بتصوّرات ومفاهيم مهمّة مثل الله، الإسلام، النبي، الإمام، الكافر وغير ذلك، بحيث تتمّ عملية دراسة وملاحظة المعنى القرآني لكل واحدة من هذه الكلمات بشكل منفصل، إلاّ أنّ الحقيقة أنّ هذا العمل ليس بالأمر اليسير؛ لأنّ هذه الكلمات، أو المفاهيم الموجودة في القرآن لم تستخدم وحدها وبمعزل عن الكلمات الأخرى، بل ثَمة ارتباط وثيق بينها؛ وأن معناها الملموس والمباشر لا يتبدى بشكل دقيق، إلاّ من خلال مجموع الجهاز الاتصالي المتقابل.

وبعبارة أخرى، تؤلّف هذه الكلمات فيما بينها مجاميع مختلفة كبيرة وصغيرة ؛ وهذه المجاميع تترابط هي الأخرى فيما بينها من طرق مختلفة لتكوّن في نهاية المطاف كلا منتظماً ومتسقاً وتؤلّف شبكة فائقة التعقيد.

في الحقيقة إن ما له أهمية بالنسبة إلى هدفنا الخاص هو نوع النظام هذا، والجهاز التصوري الذي يستخدم في القرآن، قبل المفاهيم والتصوّرات المنفردة المنفصلة عن بعضها»[٤٧].

يعمد المؤلف في الفصل الأوّل من كتابه إلى شرح الصلة الرابطة بين المصطلحات المفاتيح (الأساسية) في القرآن، متكئاً بشكل كبير على مصطلحات ثلاثة، هي «**المفتاح**»، «**المركز**» و«**الميدان المعرفي**».

بحسب رأيه تؤلف المصطلحات المفاتيح للقرآن مجاميع كثيرة، وتلك المجاميع هي الميادين المعرفية للقرآن، حيث يوجد في كل ميدان معرفيّ مركز محدّد، يستقطب من حوله بقيّة الكلمات الأساسية (الكلمات المفاتيح) التابعة لذلك الميدان.

على سبيل المثال تؤلف مصطلحات **الإيمان، والله، والتصديق، والإسلام، والشكر، والتكذيب، والعصيان ، والكفر** وغيرها ساحة معرفية؛ بحيث يكون مصطلح الإيمان هو مركز تلك الساحة وبؤرتها. وكذلك تكوّن مصطلحات: **الكفر، والله، والشرك، والعصيان، والتكذيب، والاستكبار، والظلم، والضلال والفسق**، ساحة معرفية أخرى مركزها كلمة الكفر. في مثال ثالث تؤلف مصطلحات **الصراط المستقيم، التيه، الضلال، الغواية، العوج، الرشاد، الاهتداء والهدى** ساحة معرفية ثالثة يمثل مصطلح الصراط بؤرتها المركزية.

على هذا الأساس يعدّ «**الكفر**» في الساحة الثانية مركزاً في حين يعدّ مصطلحاً عادياً في الساحة المعرفية الأولى.

أمّا مصطلحات: **التكذيب، والعصيان، والله، والكفر**، فهي من العناصر المشتركة بين المركز الأوّل والثاني، وكلمة «**ضلال**» تصل المركز الثاني بالثالث[٤٨].

لقد عضد **إيزوتسو** نظريته برؤى وأدلّة جذابة تحكي جهداً علمياً يستحق الثناء والتقدير. وبعبارة واحدة تتسم الدراسة التي قدّمها ببناء مترابط ملفت.

الرؤية الثانية: نظرية الوحدة الموضوعية لكل سورة

الصيغة الثانية التي تعرضت لمعارف القرآن في القرن الرابع عشر، تتمثّل بالوحدة الموضوعية الموجودة في سور القرآن.

من الواضح وجود الشك في اختصاص هذه الرؤية بالقرن الهجري الرابع عشر، ومن ثَم، فهذه النسبة ليست ثابتة بشكل قطعي؛ إذ إن بعض الباحثين يعتقد أنها طرحت للمرّة الأولى من قبل **ابن القيم الجوزية**[٤٩]. فيما يذهب آخرون إلى أنّ **الفخر الرازي** هو أوّل من نادى بهذا الاتجاه[٥٠]، في حين أنّ **الشاطبي**[٥١] و**البقاعي**[٥٢] تحدّثا أيضاً عن مبدأ الوحدة الموضوعية لسور القرآن.

أما في القرن الرابع عشر الهجري، فقد آمن مفسّرون قديرون بنحو من الوحدة الموضوعيّة لسور القرآن كما هو الحال مع العلاّمة **الطباطبائي**[٥٣]، و**محمد عبده**[٥٤]، و**سعيد حوّى**، و**سيد قطب**[٥٥]، بالإضافة إلى أساتذة مثل **عبدالله دراز**[٥٦]، و **محمد عبدالله شحاته**، و**محمد البهي**، و**محمود شلتوت**؛ حيث مالوا عملياً إلى ممارسة تفسير السور على أساس هذه القناعة.

على سبيل المثال اهتم **شلتوت** في كتابه «**إلى القرآن الكريم**» بدراسة أهداف كل سورة وجسّد هذا المعنى. أما **عبد الله محمود شحاته**، فقد جعل هذه الفكرة أساساً لبحثه وموضوعا له في كتاب «**أهداف كل سورة ومقاصدها**».

أما بشأن **محمد باقر حجّتي** في كتابه «**مدخل لدراسة أهداف سور القرآن ومقاصدها**» [بالفارسية] فقد بذل جهوداً كبيرة في هذا المضمار.

أما **محمد البهي**، فقد درس (٢٤) سورة من القرآن تحت عنوان «**التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**».

لكن مع ذلك كلّه لم تستقرّ، حتى الآن فكرة ترابط المفاهيم القرآنية لكل سورة على أساس مكين وعلمي شامل، حيث لا يزال أنصار هذا النمط الفكري يبذلون مساعيهم للكشف عن موضوع كل سورة، من دون أن تستقر رؤاهم على رأي نهائي.

على سبيل المثال يؤكد **سعيد حوّى**، أنَّ الموضوع الأساس لسورة النساء هو «**التقوى**»[٥٧]، بيدَ أنَّ **محمد البهي**، و**سيد قطب** يفيدان أنَّ موضوع هذه السورة هو المجتمع الذي يشمل أيضاً الأسرة، بحيث إنَّ السورة تناولت العوامل التي تشدّ البناء الاجتماعي وتلك الأخطار الداخلية والتحدّيات الخارجية التي تنال من البناء الاجتماعي المترابط وتحيق به[٥٨].

كنموذج آخر لاختلاف النظر في هذا النمط من التفكير، هي الصيغ المتفاوتة التي ذكرت

لموضوع سورة البقرة. فإنّ مؤلف «**النبأ العظيم**» يعتقد أن سورة البقرة تتكوّن من مقدّمة وأربعة مقاصد وخاتمة.

فالمقدّمة تتوفّر على بحث شأن هداية القرآن.

أما المقاصد الأربعة، فهي موزّعة كما يأتي:

المقصد الأوَّل: دعوة عامة الناس إلى الإسلام.

المقصد الثَّاني: ينهض بدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام.

المقصد الثَّالث: يتطرق إلى تفصيل شيء من قوانين الإسلام وأحكامه.

المقصد الرَّابع: يتحدّث عن باعث التزام المتدينين بالتعاليم والأحكام الدينية[٥٩].

إذا انتقلنا إلى **العلاّمة الطباطبائي**، نراه يقول بشأن موضوع سورة البقرة أنه: «**بيان أنَّ من حق عبادة الله سبحانه، أن يؤمن عبده بكل ما أنزله بلسان رسله، من غير تفرقة بين وحي ووحي، ولا بين رسول ورسول**»[٦٠].

عندما نصل إلى **سعيد حوّى** نراه يذكر، أنَّ سورة البقرة تتألّف من مقدّمة، وثلاثة أقسام وخاتمة.

فالمقدّمة تنطوي على الآيات العشرين الأولى من السورة، وهي تتحدّث عن ثلاث مجموعات من الناس، هم المتّقون، والكفّار، والمنافقون.

أما الأقسام، فهي موزّعة، وأغراضها كالآتي:

القسم الأوّل: ويتضمّن الآيات من ٢١ إلى ١٦٧، ومحور البحث فيه هو دعوة الناس إلى التقوى.

القسم الثاني: ويبدأ من الآية (١٦٨) لينتهي بالآية (٢٠٧)، وهو يبحث في التقوى شروطها وأركانها.

القسم الثالث: ويشمل الآيات من ٢٠٨ إلى ٢٦٤، وهو ينهض ببيان القوانين والأحكام الإسلامية.

بشأن الخاتمة التي تتمثّل بالآيتين الأخيرتين من السورة، فهي بمنزلة الخلاصة لجميع ما تناولته السورة وعرضته من مطالب، وأفكار[٦١].

على هذا يتبيّن أنَّ تعيين الموضوع المحوري لكلّ سورة، عمليةٌ ما تزال تحتاج للدراسة والبحث، فضلاً عن أنَّ هناك من لا يزال يثير الشك حيال أساس هذه الفكرة،[٦٢]، ناهيك عمن ينكرها أصلاً، كما هو الحال عند **أمين الخولي**، و**عفت الشرقاوي**[٦٣].

الرؤية الثالثة: ترابط نصوص القرآن المتفرّقة ووحدتها حيال الموضوع الواحد

الصيغة الثالثة التي عرضت لها المحافل العلمية حيال ترابط المعارف القرآنية، وتناول ذلك كحقيقة لا مجال للشك فيها، تتمثّل بوحدة المطالب التي ترتبط بموضوع واحد.

من الواضح أن صيغة البيان القرآني هي بصورة، بحيث تتناول الموضوع الواحد مرّات متعدّدة بشكل متقطّع في سور ومناسبات مختلفة، وتلقي عليه الضوء من زوايا متعدّدة.

النظرة السطحية المتسرعة لهذه الصيغة في البيان القرآني، قد تغري بالقول بعدم وجود الترابط بين النصوص المتفرّقة التي تتناول الموضوع الواحد، مع أن هذه البيانات والنصوص المتقطعة يكمل بعضها بعضاً ويوضحه، أضف إلى ذلك ما يوجد بينها من ترابط محكم. وفي الواقع تكمن مهمّة الباحث القدير، في أن يعيد ترتيب هذه الأجزاء التي تبدو متباعدة في الظاهر؛ ليؤلف منها بيسر وحدات منتظمة ومترابطة.

ولقد تعاطى المفسّرون المسلمون، بل وحتى الدارسون غير المسلمين مع المحتوى القرآني، على أنه يتألّف من مطالب متجزئة، لكنّها مترابطة ومنسجمة في الوقت نفسه، تحتاج إلى تفحّص وإلى عملية إعادة تنظيم جديدة. يكتب «**بوكاي**» ـ وهو باحث قرآني غير مسلم ـ عن هذه الزاوية ما نصّه: «**ينبغي أن تتمّ عملية معرفة رأي القرآن وموقفه إزاء كل مجال من المجالات، برصد الآيات ذات الصلة بذلك المجال وجمعها من كافة أرجاء القرآن**»(٦٤).

ولقد أظهر المستشرقون عنايتهم بالتفسير الموضوعي للقرآن منذ عام ١٨٣٧م، ومن جهته أعد المستشرق الهولندي «**فث**» دراسة في خمسة أقسام بعنوان «**محمد والقرآن**» طبعت في المجلة الهولندية «**الدليل**» عام ١٨٤٥م(٦٥).

اتساع الموضوعات القرآنية لدى مفسّري القرن الرابع عشر

لم تأت دهشة الباحثين في مجال المعارف القرآنية في القرن الهجري الرابع عشر بسبب ما شاهدوه من انتظام مطالب القرآن بشكل خفي في إطار موضوعات كثيرة وحسب، بل بسبب ما تجلّى لهم أيضاً من شمول الموضوعات القرآنية، وسعة رؤاها وامتدادها بصيغة تؤثر على الإعجاز.

مضافاً إلى الباحثين المسلمين، هناك دارسون مثل «**بوكاي**» سجّلوا اعترافهم، بأن أصلب الرؤى العلمية التي لا يمكن الطعن بها هي رؤى القرآن؛ وأن هذا الكتاب السماوي تطرق إلى مسائل لا أثر فيها للخطأ، في مجال خلق النجوم، والأرض، وأصناف الحيوان، والنباتات وتوالد البشر(٦٦). ولقد توصّل العلماء في هذا القرن، إلى أن للقرآن رؤى في فروع مختلفة من العلم الطبيعي، وله نظرات في مضمارِ مختلفِ العلوم الإنسانية، كعلم النفس، والتقنين، والمجتمع، والعقائد، والاقتصاد، والنظام التربوي وغير ذلك(٦٧).

وهكذا تم الإقرار بشمولية القرآن بالمعنى المشار إليه أعلاه(٦٨)، ولكن بملاحظة الفكرة التالية: «**إذا ما تحدّث القرآن عن ظاهرة جوّية، أو تطرق إلى مسائل حياتية، فإنّ الزاوية التي**

يطلّ من خلالها تختلف عن رؤية العالم المتخصّص في مجال الأحياء، فالقرآن يريد أن يعرض للإنسانية من خلال جميع هذه الأمور ثمرة توحيدية ومعنوية»[٦٩].

انطلاقاً من هذه النظرة إلى القرآن بادر المفسّرون، لممارسة التفسير الموضوعي، وبمثل هذه العقيدة انكبوا على بحث الموضوعات المختلفة في مضمار العلوم الإنسانية والطبيعية. وهذه الفكرة هي التي كانت الدافع وراء تأليف كتب بعناوين: «**دستور الأخلاق في القرآن**»، «**من علم الطب القرآني**»، «**علم النفس في القرآن**»، «**الرياح والأمطار في القرآن**»، «**العدالة الاجتماعية في الإسلام**» وعشرات الكتب الأخرى، بالإضافة إلى دراسة وبحث مئات المواضيع العلمية على ضوء الرؤية القرآنية.

شروط التفسير الموضوعي

بالإضافة إلى الشروط العامة التي تستلزمها الممارسة التفسيرية، ممّا عدّوه ضرورياً في هذا المجال، أكّد المفسرون والباحثون القرآنيون في القرن الهجري الرابع عشر أيضاً ضرورة التزام شروط خاصة بمجال التفسير الموضوعي.

الشروط العامّة للتفسير

ـ لما كانت عملية تفصيل هذه الشروط، تُخرِجُ الدراسةَ عن موضوعها الأصلي؛ لذلك سيتمّ الاكتفاء بعرض فهرست لهذه الشروط من خلال ما يأتي:

١ ـ طهارة الروح والاستعداد والشوق المعنوي لدرك معارف القرآن[٧٠].

٢ ـ معرفة القواعد والمباني اللغوية للغة العربية، والاطّلاع على الظرائف الأدبية والبيانية لهذه اللغة[٧١].

٣ ـ معرفة تاريخ الإسلام وأسباب النزول[٧٢].

٤ ـ معرفة التفسير وآراء المفسّرين[٧٣].

٥ ـ معرفة سُنّة النبيّ(صلّى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)، والروايات الصادرة عنهم، ومعرفة صلتها بآيات القرآن[٧٤].

٦ ـ الالتفات إلى السياق الخاص وموقع الآية وتناسبها مع الآيات التي تسبقها وتليها[٧٥].

أما على مستوى التفسير الموضوعي فثم ما يلي:

١ـ الرؤية العضوية الترابطية لمفاهيم القرآن كشرط في التفسير الموضوعي

إن معرفة السِّياق العام والتوجّه إلى الترابط العضوي للآية مع آيات القرآن الأخرى التي تشترك معها في الموضوع نفسه، وكذلك الالتفات إلى الموضوعات المشابهة التي تلتقي مع الموضوع ذاته؛ كل ذلك يعدّ من الشروط الخاصّة بالتفسير الموضوعي، حتى

لِيُمكِن القول: **إن النظر إلى القرآن بأجمعه هو أحد الأصول الأساسية للتفسير الموضوعي في العصر الحديث**[٧٦].

أما الشيخ **محمد عبده**، فيذكر بهذا الشأن: «**وقد قالوا إن القرآن يفسّر بعضه ببعض، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته، لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب**»[٧٧].

من جهته يقول الشيخ **ناصر مكارم الشيرازي**: «**تؤلف أجزاء الوجود بأجمعها كياناً واحداً مترابطاً فيما بينه، والطريقة الصحيحة لدراسة تلك الأجزاء، هي أن ندرسها جميعاً فيما هي عليه من ترابط بعضها مع بعض. والأمر نفسه في كتاب التدوين ؛ أي القرآن الكريم؛ إذ هناك روابط وصلات دقيقة بين جميع الموضوعات القرآنية، بحيث يتحتّم أن تخضع للتفسير من خلال ترابطها بعضها مع بعض**»[٧٨].

أما الشيخ **عبد الله الجوادي الآملي**، فيكتب: «**إن القرآن مثاني بأجمعه، أي ينعطف بعضه على بعض ويميل إليه، حيث يوضّح بعضه بعضاً، ويتكئ بعضه إلى بعض ويلوذ به، وهذه علامة على انسجام جميع القرآن**»[٧٩].

لقد فتّش **العلاّمة الطباطبائي**[٨٠]، والاستاذ **جوادي آملي**[٨١]، و**عدنان الشريف**[٨٢] عن أساس هذه الرؤية وجذورها في القرآن نفسه؛ وتحديداً في قوله: ﴿**الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربّهم**﴾ (الزمر: ٢٣)؛ لأنّ صفة مثاني للقرآن، تأتي بمعنى أن الرابطة بين آياته، هي من نوع الرابطة والإشراف المتقابل.

يقول **العلاّمة الطباطبائي** : «**وهذا من عجيب أمر القرآن، فإنّ الآية من آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة، ولا تعقم عن الإنتاج، كلّما ضمّت آية إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبكار الحقائق، ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد بها، هذا شأنه وخاصته، وسترى في خلال البيانات في هذا الكتاب نبذاً من ذلك، على أنَّ الطريق متروك غير مسلوك، ولو أن المفسّرين ساروا هذا المسير، لظهر لنا إلى اليوم ينابيع من بحاره العذبة، وخزائن من أثقاله النفيسة**»[٨٣].

وعلى هذا الضوء تحظى عملية النظر إلى جميع القرآن مصحوبة بالتفكير والتدبّر ؛ تحظى بالنسبة للباحثين في التفسير الموضوعي بأهمية خاصة؛ بحيث إنّ إهمال السياق العام، أو إيلاءه أهمية قليلة، يؤدي إلى التقليل بشدّة من قيمة عمل أولئك.

٢ـ المعرفة العلمية للموضوع كشرط ثان للتفسير الموضوعي

يرى الشهيد الصدر أن الحركة التفسيرية تبدأ شوطها عبر بحث موضوعات القرآن

انطلاقاً من واقع الحياة البشرية، وما تزخر به من وقائع فكرية، وليس باختيار موضوع من القرآن ورصد الآيات ذات الصلة به.

يقول: «**يبدأ التفسير الموضوعي بالواقع الخارجي؛ بحصيلة التجربة البشرية؛ ويتزوّد بكلّ ما وصل إلى يده من حصيلة هذه التجربة ومن أفكارها ومضامينها، ثم يعود إلى القرآن الكريم. طبيعي، لا بمعنى أنه يحمل التجربة البشرية على القرآن، أو يُخضِع القرآن للتجربة البشرية، بل بمعنى أن يوحِّد بينهما في سياق بحث واحد، لكي يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدّد موقف الإسلام تجاه هذه التجربة أو المقولة الفكرية**»(٨٤).

وفي مكان آخر يقول: «**وظيفة التفسير الموضوعي في كل مرحلة وفي كل عصر أن يحمل كل تراث البشرية الذي عاشه، يحمل أفكار عصره، يحمل المقولات التي تعلّمها في تجربته البشرية، ثم يضعها بين يدي القرآن. . . ، ليُحَكِّم [القرآن] على هذه الحصيلة بما يمكن لهذا المفسّر أن يفهمه؛ أن يستشفّه؛ أن يتبيّنه من خلال مجموعة آياته الشريفة**»(٨٥).

هكذا تبقى للقرآن قدرته في القيمومة على تراث التجربة البشرية دائماً، كما قدرته على العطاء وعلى الإبداع باستمرار؛ لأن التفسير الموضوعي قادر على أن يتطوّر ويعطي المواقف والرؤى إلى ما لا نهاية ما دامت التجربة البشرية مفتوحة أيضاً. وبذلك يثرى التفسير؛ لأنّ التجربة البشرية تثريه، والدرس القرآني على ضوء التجربة البشرية يجعل هذا الثراء محمولاً إلى فهم اسلامي قرآني صحيح(٨٦).

ثَم فريق آخر من المفسرين لم يشأ أن يكون للمعرفة العلمية، ومعرفة العلوم البشرية والتجريبية دورها في فهم القرآن، بيدَ أنّه صرّح بأهمّيتها، حيث كتب [أحد ممثلي هذا الاتجاه] ما نصّه: «**بيدَ أن هذا المعنى (غنى المحتوى القرآني وعدم حاجته للغير) لا يستلزم أن يتعامل الإنسان مع القرآن بجهل، بحيث يغضي تماماً عمّا تراكم لديه من علوم ومعارف، ويجلس بين يدي هذا الكتاب الإلهي كمثل الإنسان الأمّي العادي الذي لم ينل قسطاً من التعليم، فهناك فرق بين التحميل والتحمّل. . . ، فكلّما أفاد الإنسان أكثر في مدرسة عالم الخليقة من آيات الكتاب التكويني واطّلع عليها أكثر، زاد ذلك أكثر من قدرة تحمّله بإزاء آيات كتاب التدوين**»(٨٧).

من بين مَن مال إلى هذه الرؤية من مفكّري أهل السنّة مؤلف كتاب «**منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**»(٨٨) ومؤلف «**دستور الأخلاق في القرآن**»(٨٩).

٣ـ عدم تدخّل الذاتيات الذهنية كشرط ثالث للتفسير الموضوعي

يشتكي جميع الباحثين بصدق عن رؤى القرآن ونظراته في المجالات العقيدية، الاجتماعية والعلمية، من ضروب الانحراف والرؤى المتعصبة، والأحكام المسبقة التي تُحَمَّل للقرآن.

على هذا الضوء عدَّ هؤلاء، التحرّر من العلائق والميول التصوّرية، أمراً ضرورياً بالنسبة إلى من ينتهج التفسير الموضوعي؛ لكي لا تلوّثَ معطيات هؤلاء المفسّرين بشبهة التفسير بالرأي، ولا تَلْصُقَ بها الميول المذهبية، الفلسفية، الاجتماعية، ولا تنجذب إلى الاتجاهات والمبادئ البشرية، ولا تنزلق إلى العلم الطبيعي وتكون عرضة للأفكار والمقولات الطارئة[٩٠].

٤ـ الإفادة الصحيحة من روايات أهل البيت في التفسير الموضوعي

بالرغم من جميع المعطيات القيّمة والآفاق المفتوحة المضيئة التي تترافق مع عملية السعي للحصول على المعارف الموضوعية من القرآن، إلاّ أنّها تقترن بمنعطفات تؤدي إلى منزلقات خطيرة، من بينها الخشية من السقوط في هوّة التفسير بالرأي كما أشرنا، وكذلك الغربة عن المعارف الصافية لأهل البيت، والبقاء بعيداً عنها كما سنوضّح الآن.

إن عملية دراسة آيات القرآن وسوره وتفحصها والتأمّل فيها، ثم الحصول على نقاط جديدة من الآيات تتميّز بالجاذبية، قد يغري بطروء فكرةٍ تفيد بعدم الحاجة إلى السنّة وروايات النبي(ص) وأهل البيت!

لكن الحق أن علينا أن نتعلّم حتى مشروعية هذه الحركة التفسيرية من المفسرين الحقيقيين الذين مارسوها، متمثّلين بالنبي وعترته، كما صرّح بذلك عدد من الأساتذة، حين عدّوا اتساق معطيات التفسير الموضوعي، وانسجامها مع معارف أهل البيت ضرورة ورصيداً للاطمئنان إلى هذه المعطيات[٩١].

الهوامش:

(١) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، دمشق ، دار القلم ، ١٤١٠هـ ، ص١٧ .

(٢) يمكن ملاحظة أمثال هذه التعاريف في الكتب التالية : مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص١٦ ؛ مكارم شيرازي ، **پيام قرآن** [رسالة القرآن] ، مدرسة أمير المؤمنين ، ١٣٦٧ شمسي فارسي ، ج١ ، ص٢٠ ؛ بيومي ، محمد رجب ، **التفسير القرآني** ، مصر ، المؤسسة العربية الحديثة ، ص٩١ ؛ الرومي ، محمد بن عبدالرحمن ، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه** ، مكتبة التوبة ، ١٤١٣هـ ، ص٦٢ .

(٣) زاهر عواض ، **دراسات في التفسير الموضوعي** ، نقلاً عن مباحث في التفسير الموضوعي ، ص١٦ .

(٤) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص١٦ ، ١٧ ؛ الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص١٧ .

(٥) محمد باقر الصدر ، **المدرسة القرآنية** ، ص٢٣ .

(٦) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص١٨ ؛ الرومي ، محمد بن عبدالرحمن ، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه** ، ص٦٥ ، ٦٧ .

(٧) الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص١٧ .

(٨) جوادي آملي ، عبد الله ، **تفسير موضوعي قرآن مجيد** [التفسير الموضوعي للقرآن المجيد] مركز رجاء الثقافي ، ١٣٦٥هـ.ش. ، ص١٥ .

(٩) الشهرستاني ، السيد هبة الدين ، **تنزيه التنزيل** ، نقلاً عن خرمشاهي ، بهاء الدين ، **قرآن پژوهي** [دراسة القرآن] منشورات مشرق ، طهران ، ٣٢٣ .

(١٠) **نهج البلاغة** ، الخطبة ١٣٣ .

(١١) الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص٣٠ .

(١٢) العمري ، أحمد جمال ، **دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني** ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٤٠٦ هـ ، ص٥٠ .

(١٣) الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص٣٤ .

(١٤) دغامين، زياد خليل محمد، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، عمّان، دار البشير، ١٤١٦هـ ، ١٧-١٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص١٩ .

(١٦) الرومي ، محمد بن عبد الرحمن ، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه** ، ص٦٢ .

(١٧) دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص١٠٦ ؛ الرومي ، محمد بن عبد الرحمن ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص٥٧ .

(١٨) جوادي آملي ، **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** [بالفارسية] ، ج١ ، ص٣٦ ؛ ناصر مكارم ، **پيام قرآن** [رسالة القرآن] ، ج١ ، ص٢٢ ؛ بوكاي ، **مقارنة بين التوراة ، الإنجيل ، القرآن والعلم** [الترجمة الفارسية] ، ترجمة دبير ، مؤسسة نشر الثقافة الإسلامية ، ص٢٦٩ ؛ سبحاني ، **مفاهيم القرآن** ؛ شرقاوي ، عفت ، **قضايا إنسانية في أعمال المفسّرين** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص٧ .

(١٩) دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص١٩ ؛ سبحاني ، جعفر ، **مفاهيم القرآن** ، قم منشورات توحيد ، ١٤٠٤هـ، ص١٦ .

(٢٠) شرقاوي ، عفت ، **قضايا انسانية في أعمال المفسّرين** ، بيروت ، دار النهضة ، ١٩٨٠ ، ص٨١ ، ٨٢ ؛ الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص٣٧ .

(٢١) أجنتس ، جولدتسهير ، **مذاهب التفسير الإسلامي** ، ترجمة عبدالحليم النجار ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣١٤هـ ، ص٤ .

(٢٢) الرومي ، فهد بن سليمان ، **منهج المدرسة العقلية الحديثة** ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٢٢ ؛ دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص١٠٤ .

(٢٣) مكارم شيرازي ، ناصر ، **پيام قرآن** (رسالة القرآن) ، ج١ ، ص٣٢ .

(٢٤) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، طبعة مؤسسة إسماعيليان ، ج١ ، ص٤٠ .

(٢٥) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان** [الترجمة الفارسية] ترجمة محمد باقر همداني موسوي ، مركز النشر الإسلامي ، ج١٠ ، ص٣٢٠٣ [النسخة العربية ، ج١٠ ، ص٣٧] .

(٢٦) رشيد رضا ، **المنار** ، بيروت دار المعرفة ، ج١ ، ص٣٦ ..(٢٧) جوادي آملي ، عبدالله ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد** ، ج١ ، ص٤١ .

(٢٨) البوطي ، محمد سعيدرمضان ، **روائع القرآن** ، دمشق ، مكتبة الفارابي ، ص١٦٥ .

(٢٩) رشيد رضا ، **الوحي المحمدي** (الترجمة الفارسية)، ترجمة محمد علي خليلي ، طهران ، مؤسسة العلوم الإنسانية ، ١٣٦١ هـ.ش.؛ رشيد رضا ، **المنار**، ج١١ ، ص٢٠٦ـ٢٩٣.

(٣٠) مصباح يزدي، محمد تقي، **معارف قرآن** [معارف القرآن] ، قم، مركز النشر الإسلامي، ١٣٧٤ فارسي شمسي، ص٥ ـ ٢٠.

(٣١) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص٢٢ .

(٣٢) رشيد رضا ، **المنار** ، ص٢٨٨ـ٢٨٩ .

(٣٣) حوى سعيد، **الأساس في التفسير** ، مصر ، دار السلام ، ١٤١٢هـ ، ج١ .

(٣٤) المصدر نفسه، ج١ ، ص٦١ .

(٣٥) المصدر نفسه، ج١١ ، ص٦٧٧٠ .

(٣٦) المصدر نفسه، ج٢ ، ص٦٨٥ .

(٣٧) المصدر نفسه، ج٣ ، ص١٢٩٥ .

(٣٨) المصدر نفسه، ج٣ ، ص١٥٥٧.

(٣٩) المصدر نفسه، ج٤ ، ص٢٥١٨ .

(٤٠) المصدر نفسه، ج٤ ، ص٢١٠١ .

(٤١) المصدر نفسه، ج٥ ، ص٢٤١٣ .

(٤٢) المصدر نفسه، ج٥ ، ص٢٥٢٥ .

(٤٣) المصدر نفسه، ج٨ ، ص٤١٦٣ .

(٤٤) المصدر نفسه، ج١١ ، ص٦٧٦٠ .

(٤٥) «معرفة المعنى بالصيغة التي أفهمها هو عبارة عن بحثٍ ودراسةٍ تحليليةٍ حول الكلمات المفاتيح (الأساسية) للغة ، لكي تتبين في نهاية المطاف الرؤية الكونية لقوم معينين ، على اعتبار أن تلك اللغة ليست هي وسيلة للتحدّث والتفكير وحسب ، بل الأهم من ذلك أن أولئك القوم يستخدمونها أيضاً كوسيلة لتصوّر العالم الذي يحيط بهم وتفسيره » .أُنظر: توشيهيكو ايزوتسو ، «الله والإنسان في القرآن» [الترجمة الفارسية] ، ترجمة أحمد آرام ، مطبوعات شركة انتشار المحدودة ، طهران ، ١٣٦١هـ.ش.[١٩٨٢م] ، ص٤ .

(٤٦) المصدر نفسه، ص٤ .

(٤٧) المصدر نفسه، ص٥ .

(٤٨) **الله والإنسان في القرآن** ، ص٥١ ـ ٥٢ .

(٤٩) دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص٩٨.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٩٨ .

(٥١) المصدر نفسه، ص١٠٠ .

(٥٢) المصدر نفسه، ص١٠٢ .

(٥٣) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، ج١ ، ١٦ ؛ ج١٥ ، ص٧٨ .

(٥٤) عبدالله محمود شحاته ، **درآمدي بر تحقيق در اهداف ومقاصد سوره هاى قرآن** [مدخل لدراسة أهداف سور القرآن ومقاصدها] ، ترجمة محمد باقر حجتي ، مؤسسة نشر ثقافة الإسلام ، ١٣٦٩ هـ.س. ، ص٢٧.

(٥٥) حوى ، سعيد ، **الأساس في التفسير** ، ج٢ ، ص٦٨٧ .

(٥٦) دراز ، محمد عبدالله ، **النبأ العظيم** ، الكويت ، دار القلم ، ص١٤٢.

(٥٧) حوّى ، سعيد ، **الأساس في التفسير** ، ج٢ ، ص٩٧٧ ؛ ص٩٨٠ ؛ ص١٢٧٠ .

(٥٨) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: تفسير سورة النساء ، مصر ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٠هـ ، ص٣ ، ١٠ ؛ سيد قطب ، **في ظلال القرآن** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩١هـ ، ج، ص٢٠٥ .

(٥٩) درّاز ، عبدالله ، **النبأ العظيم** ، ص١٦٣ .

(٦٠) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، ج١ ، ص٤٣ ؛ ج٢ ، ص٤٤٠ .

(٦١) درّاز ، محمد عبدالله ، **النبأ العظيم** ، ص١٦٣ .

(٦٢) **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص١٢٠ .

(٦٣) المصدر نفسه، ص١١١ .

(٦٤) بوكاي ، **مقارنة بين التوراة ، الإنجيل ، القرآن والعلم** ، ترجمة مهندس دبير ، مؤسسة نشر الثقافة الإسلامية ، ص٢٥٣ ـ ٢٦٩ .

(٦٥) الصغير ، محمد حسين علي ، **المستشرقون والدراسات القرآنية** ، مكتب الإعلام الإسلامي ، ١٤١٣هـ ، ص٧٣ .

(٦٦) بوكاي ، **مقارنة بين التوراة ، الانجيل ، القرآن والعلم** ، مصدر سابق ، ص٧٣ .

(٦٧) عدنان شريف ، **من علم الطب القرآني** ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ص١٠ .

(٦٨) جوادي آملي ، عبدالله ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد** ، ج١ ، ص٧٣ .

(٦٩) الشهيد مطهري ، **آشنايى با قرآن** [معرفة القرآن] ، مؤسسة صدرا ، ج٤ ، ص١٩٧ .

(٧٠) عدنان شريف ، **من علم الطب القرآني** ، ص٢٤ ؛ جوادي آملي ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد.**

(٧١) القاسمي ، جمال الدين ، **محاسن التأويل** ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ ، ج١ ، ص٣٢٥ .

(٧٢) سبحاني ، جعفر ، **منشور جاويد قرآن** [بيان القرآن الخالد] ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة ، ١٣٦٠ هـ.ش.، ج٣ ، ص٣٠٣ ؛ الرومي ، محمد بن عبد الرحمن ، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** ، ج٣ ، ص٨٩١ ؛ دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** ، ص٤٣ .

(٧٣) مصطفى مسلم ، **مباحث في التفسير الموضوعي** ، ص٥٣ .

(٧٤) جوادي آملي ، عبدالله ، **زن در آيينه جلال وجمال** [المرأة في مرآة الجلال والجمال] ، مركز رجاء الثقافي ، ١٣٧١هـ.ش.، ص٥١ .

(٧٥) عائشة عبد الرحمن ، **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، دار المعارف ، مصر ،هـ ، ١٣٨٨ ، ج١ ، ص٧ .

(٧٦) الرومي ، فهد بن سليمان ، **منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير** ، ص٢٣١ ؛ **التفسير البياني للقرآن الكريم** ، ج١ ، ص٧.

(٧٧) المصدر نفسه، ص٢٤٠.

(٧٨) مكارم شيرازي ، ناصر ، **پيام قرآن** [رسالة القرآن] ، ج١ ، ص١٩.

(٧٩) جوادي آملي ، عبدالله ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد** ، ج١ ، ص١٢٩.

(٨٠) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، ج١ ، ص٣ ـ ١٢ ؛ ج١٢ ، ص١٩٠.

(٨١) جوادي آملي ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد** ، ج١ ، ص٢٩.

(٨٢) عدنان الشريف، **من علم الطب القرآني**، ص٢٤.

(٨٣) الطباطبائي ، محمد حسين ، **الميزان في تفسير القرآن** ، ج١، ص٧٣.

(٨٤) الصدر ، محمد باقر ، **المدرسة القرآنية** ، ص٢٥ ، ٢٨.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٨٦) **المدرسة القرآنية** ، ص٢٢ ـ ٢٤.

(٨٧) جوادي آملي ، عبدالله ، **التفسير الموضوعي للقرآن المجيد** ، ج١ ، ص٧٤.

(٨٨) دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي** ، ص٤٤ .

(٨٩) درّاز ، محمد عبدالله ، **دستور الأخلاق في القرآن** ، ص١٧.

(٩٠) دغامين ، زياد خليل محمد ، **منهجية البحث في التفسير الموضوعي** ، ص٢٤ ؛ الحكيم ، محمد باقر ، **علوم القرآن** ، ص٨٣ ؛ الصغير ، محمد حسين علي ، **دراسات قرآنية** ، ص٣٦ ؛ درّاز ، محمد عبدالله ، **دستور الأخلاق في القرآن** ، ص١٨.

(٩١) جوادي آملي ، عبدالله ، **المرأة في مرآة الجلال والجمال** ، ص٥٢ .

* هـ.ش.: اختصار للتقويم المعتمد في الجمهورية الإسلامية وغيرها من البلاد المجاورة لها وهو يقوم على أساس حركة الشمس ويعتمد هجرة الرسول(ص) كمبدأ للتاريخ.